

## المشادة

### بين الانتداب والاستقلال

لـ لاينيس المقرسي

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

رُضعت الحرب الكبرى أوزارها وللوطنيين في البلدان العربية ، ولا سيما مصر وسوريا وال عراق ، آمال تومية واسعة . على ان عصبة الامم لم تلبث ان قررت ان هذه البلدان لا تزال في حاجة الى وصاية او ارشاد بعض الدول الكبرى . وهكذا وضع نظام الانتداب او الحماية (سمّيه ما شئت) . فاعترى الشرق العربي شعور تام بالحياة واستفز ذلك العناصر الوطنية فبهتت تسمى لنيل أمانها . وهذه المساعي هي أساس العوامل التي كان لها أعظم أثر سياسي في شر الحقبه الاخيرة . وهي تظهر في أربع ظواهر رئيسية : —

١ — كفاح القومية المصرية

٢ — الثورة العراقية

٣ — الثورة السورية

٤ — المشكلة الفلسطينية

ولتلق نظرة عجيلى على كل منها

(كفاح القومية المصرية) وهو قديم يرجع عهده الى بدء الاحتلال البريطاني ، على ان أول من نظمه وأول من وحد الاتجاهات الوطنية ، مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني . وقد صدق أمين الزاوي إذ قال<sup>(١)</sup> — « تبددت بمصطفى كامل كلّ الابطال التي كان خصوم مصر يذبحونها عن الروح الوطنية في البلاد ، وكان احتفال الامة بجنائزه أروع مظهر ائبقت به مصر أنها أمة حية لا تستطيع ان تعيش إلا أمة مستقلة »

وقد ألهم مصطفى كامل الشعر العربي في مصر وجرأ الشراء على مهاجمة المحتلين ومطالبهم بالجللاء، كما دنعهم إلى التني بالحرية والكرامة القومية  
فلا بدع أن يرى في الشعر العربي عند موته افتقاراً تتأجج فيه العواطف القومية كقول  
حافظ إبراهيم من يائته المشهورة في ذلك الزعم (١) :-

هنيئاً لهم فلأتمتوا كل صائح فقد أسكت الصوت الذي كان طالباً  
ومات الذي أحيا الشعور وساقه إلى الجهد فاستحيا النفوس البوالي  
شهد العلى لا زال صوتك يفتنا برن كما قد كان بالاس طالباً  
يتاشدنا بالله انت لا تهرتوا وكونوا رجالاً لا تسروا الاطاديا

وأشد من ذلك نصيدته في حفلة تأييد ومظلمها (٢) :-

نزوا عليك نوادي الازهار زين الشباب وزين طلاب العلى  
زبن الشابات والحادثات بمصر غادرتا والحادثات بمصر  
ما كانت أحوجنا إليك اذا عدا تم واضح ما خطت بين كروم  
ومنها : جزع الهلال عليك يوم تركته  
سلفاً متجيراً متخيراً  
وتصيدته الذكرى ومظلمها: (٣)

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا هذا الكمي الذي شادت عزائمهم  
وما كان ليك من الألى حررت أنفسهم قبل أسكتوا فكنتنا تم أنطقنا  
ليك إنا على ما كنت نهدم ليك إنا على ما كنت نهدم  
فيلم النيل أنا خير من وردوا فليم النيل أنا خير من وردوا  
يا أبها النشـ سبروا في طريقته فكلكم مصطفى لوسار سيرته  
وانضوا هنالك ما تقضي به الذمم لطلاب الحق ركناً ليس يهدم  
لما سكنت ولما غلك العدم عسف الحفافة وأعلى صوتا الأثم  
حتى اسود وحتى تشهد الامم وليستطيل احتيلاً ذلك المرم  
ونابروا رضي الاعداة أم تقموا وكلكم كامل لو جازة السأم

(١) ديوانه (١٩٢٢) ٣ - ١٠٧ - (٢) ديوانه (١٩٢٢) ٣ - ١١٠

(٣) ديوانه (١٩٢٢) ٣ - ١١٧

ونشوق في رثاء مصطفى كامل قصيدة مشهورة مطلعها —

المشرقان عليك يتحجان في نائم قاصيها والداي

وهي من عيون الشعر وبدور أكثرها على مآثر الفئيد وشخصيته ومزكته في قلوب الناس .  
ومثلها قصيدة خليل المطران تجدها في ذيل ديوانه (مطلعها « أعلى مكاتك الإله وشرقاً » )  
وهي أكثر من تسعين بيتاً طرأ وأُصوّر الفئيد زهباً وطنياً ضحى بحياته في ميل بلاده كقوله

مصرااتي كاذت كدّ عُداتها تصدراً لرؤماتها مستهدفا

مصرااتي سقت الجيوش منافياً ومُنَى لتكفيها المتغير المحضنا

عرّفت أهلها حقيقة قدرهم وكفاهم من قدرهم أن يعرفوا

ومن المرأى التي تذكر قصيدة أحمد نسيم — ما بال دمك لا هامر ولا جارٍ<sup>(١)</sup> —

وبمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل نرى لشوقي قصيدة نضج بالوطنية  
كقولها يخاطب الفئيد<sup>(٢)</sup>

لك الحُطْبُ التي غصّ الاطادي بسورتها وساغت لتدأسي

فكانت في مرارتها زئيراً وكانت في حلاوتها بناما

بك الوطنية اعتدك وكانت حديثاً من خرافة او ناما

بنيت قضية الاوطان فيها وصيرت الجلاء لها دمانا

وفي هذه القصيدة يتعرض احوال ابلاد السياسية ثم ينتظرد الى البحث فيما تحتاج اليه  
من رسائل الاصلاح

ومن اراد ان يعرف شيئاً عن الحركة الادبية التي احدثها موت مصطفى كامل فليرجع

الى الصحف العربية سنة ١٩٠٨ . والى ما نشر من الشعر في ذلك العهد

\*\*\*

وينقل لواء الجهاد الوطني الى يد سعد زغلول . وفي سعد تجسّمت خواجج الامة المصرية  
وامايتها بعد الحرب الكبرى . وقد اصبح مثالا في الجهاد انقرومى لكل الام العربية المجاورة  
فما هو يثير مصر مطالباً بالاستقلال ، وما هو يبنى مع رفاقه الى جزيرة سيشل . ولما اخرج عنهم  
وطادوا الى الوطن استقبلهم الشعر العربي استقبال الابطال وقد اشترك فيه اكثر الادباء في  
وادي النيل وفي مقدّمهم شوقي وسائظ والمطران والققاد والملازي واضرايهم . وبموت سعد بلغت  
الحامة الشعرية اعلى درجاتها . فنظم في مصر ، كما نظم في سورية ولبنان والعراق والمهاجر

مالا ينقطع حصره إلا في مجاهد خاص ، من مرآث تصف مثاقبه العالية وكفاحه الوطني الجيد . وقد أقيمت له حفلات تذكارية متعددة نذكر منها على سبيل التمثيل تلك التي أقيمها العراقيون في بغداد ١٩٢٧ وادباء المهجر البرازيلي في سانبولو سنة ١٩٢٨ وقد اشترك فيها أبرز الادباء في تلك الاقطار

ولم تمت الحركة الوطنية المصرية بموت سعد بل ظل خلفاؤه يناضلون . وقد استطاعوا بثباتهم ان يثابروا حتى الاعتراف باستقلال مصر وعقدوا مع بريطانيا معاهدة صداقة وتم لهم تنظيم شؤونهم . ولم يلبثوا ان دخلوا عصبة الامم

وقد تخلل هذا النزاع الطويل الذي رفع لواءه مصطفى كامل وسعد زغلول وغيرها من رجال مصر حوادث شتى كان لها أثرها الخاص في الشرح كحادثة دنشواي ورفض الحماية ، واطلاق الملكية ، ونورة ١٩١٩ ، ومسألة الامتيازات الاجنبية ، وغيرها . على ان هذه الحوادث عند التحقيق ليست الا حلقات من سلسلة المشادة بين الانتداب والاستقلال

« الثورة العراقية » من المعلوم انه لما احتلت بريطانيا العراق نشرت للعراقيين ( كما نشر لسوام من ابناء العربية ) منشورا يبين فيه اسباب احتلالها وآنها انما تقصد تحرير العرب لا فتح بلادهم . واليك نص هذا المنشور : - (١)

« إن الناية التي ترمي اليها بريطانيا العظمى وفرنسا من مواضعها في الشرق تلك الحرب التي اتارتها مطامع الالمان هي تحرير الشعوب الرازحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريراً تاماً وتشديد حكومات وادارات وطنية تمتد سلطانها من رغائب الاهالي الوطنيين الصادرة عن رضام وحسن اختيارهم . وتوصلاً لهذه الناية قد اتفقت بريطانيا العظمى وفرنسا على تشجيع ومساعدة حكومات وطنية في سوريا والعراق اللتين قد تم تحريرهما فعلاً على يد الحلفاء وفي البلدان الاخرى التي يسى الحلفاء لتحريرها والاعتراف بهذه الحكومات عند ما يتم تنظيمها فعلاً . ولأن بريطانيا وفرنسا لا يخطر في خلدتهما قط ارقام هذه البلدان على قبول نظمات معينة من أي نوع وجبل اعيانها هو ان تضمننا لهذه البلدان بمساعدتها الفعالة سير الحكومات والادارات التي يتخذونها عن محض ارادتهم سيراً منتظماً الخ الخ »

فكان من الطبيعي ان يتوقع العراقيون والسوريون وسوام عهداً استقلالياً تاماً . لكن الامور في العراق جرت منذ الاحتلال على غير ما برام فقد رأى العراقيون سوريا تمتع حيناً ( أيام فيصل ) بالاستقلال وبالملك وهم لا يزالون تحت نير الانتداب . ثم حدثت حوادث زادت منهم امتصاصاً من حكاهم البريطانيين . فأخذ الوطنيون منهم يتفاوضون ويبحثون سرراً في موقفهم

وأحق الوجاهة ورجال الدين على طلب الاستقلال وتمييز أمير من أمجال الحسين . وفي سنة ١٩٢٠ دارت بينهم وبين البريطانيين مراسلات أدت الى مؤتمر عام قدم فيه المندوبون العراقيون ثلاثة مطالب رئيسية هي :—<sup>(١)</sup>

١ — الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الأمة العراقية ليبين مصيرها وشكل ادارتها ونوع علاقتها بالخارج

٢ — منع حرية اللطوبات ليتمكن الشعب من الانصاح عن رغائبه وأفكاره

٣ — رفع الحواجز البريكية بين أنحاء القطر اولاً وبينه وبين الاقطار المجاورة وللمالك الاخرى ثانياً ليتمكن الناس هناك من التقام بعضهم مع بعض ومن الاطلاع على سير السياسة الراعنة في العالم

والظاهر ان التقام بين السلطة والوطنيين كان مستهدراً فصدت السلطة الى سياسة الإرهاق، وتبصت على بعض الزعماء ففتت بعضاً واعتصت آخرين . لكن هذه السياسة لم تأت الا بمكس المطلوب . فقد أحرجت الوطنيين ولا سيما سكان وادي الفرات حتى افق امامهم الكبير محمد تقي الشيرازي بجواز امتشاق الحسام في وجه السلطة دفاعاً عن الحقوق القومية<sup>(٢)</sup> وهكذا تمت فكرة اعلان الثورة . وقد التى محمد الباقر الشبيبي يومئذ خطبة حماسية وانشد قصيدة منها<sup>(٣)</sup>

يحي يبربر لا تأمنوا للهدى مكرًا	خذوا حذرًا كم منهم فقد أخذوا الحذرًا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة	ويفون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخذلكنكم ايهم ويذكروا	انضالهم في الهند والكذب في مصرًا
ومن مات دون الحق والحق واضح	اذا لم يزل فخرًا فقد ربح العذرا

وفي هذه الثورة يقول الجواهري من قصيدة<sup>(٤)</sup>

إلام التواني في الحياة وقد قضى  
 على التواني الموت هذا التنازع  
 وبعد ان يذكر ان في العراق نهضة ضالها نهضات في سائر البلدان العربية يقول عن الثائرين  
 ويرمضت فيه الجمول غطارف  
 بصان الحلى فيهم ونحى المطالع  
 تشوَّتهم للز نهضة نثر  
 حين ظمها اسلمها للمشارع  
 لقد عظموا قدرًا وبطشًا وأما  
 على قدر اهلها تكون الوقائع  
 وما بصرهم بنو السيوف وعندم  
 عزائم من قبل السيوف قواطع

(١) نقلًا عن العراقي الحسين ص ٩٠

(٢) العراق — ص ١٠٣ (٣) العراق — ص ١٠٧ (٤) ديوانه (١٩٣٥) ص ٤٩

إذا استكروها طم لئيات فأبطأوا أُمّيج لهم ذكر الخلود فسارعوا  
ثم بصف الثورة في الكوفة ووادي الفرات واستنزاز الانكليز لهم ، ويبدو مناقب موري  
شرارها الاولى الشيخ الشيرازي . ومن قوله فيه : —

تمود يد الموت قسّ آية وتأيي سوى عادتهم الطابع  
يطارحه وقع السبوف اذا حتى كما طارح المشتاق في الايك ساجع  
والقصيدة اكثر من ٧٥ بيتاً وكما على هذا النمط الخماسي . وله قصيدة اخرى في الثورة مطلقها (١)

ولطيري الهنداوي في الثورة قصيدة طويلة نارية الروح مطلقها (٢) — ايها النهرق هل  
فقدت الشروقا — ومنها مخاطباً وطنه

أنت أذيت أم بئوك أم الظلام شاموا ان يصبوك الحفوقا  
يترا امرم بيلد وجاموك جيماً يتلو قريب قريباً  
حاولوا — لا أبالم — ان يكون الشرق كالبد مستضاماً ريقا  
قهنضنا كالأسد في اوجه السقوم لتجنت بتبهم والنسوقا  
ومنا : وبك لا ارضي الحياة بذلّ قم فزق إلهها تمزيقاً  
وأدر لي في الزاندين حيا السحرب صرقاً وكثر الايزقا  
ان موتاً يكون في ساحة العزّ لموت أجدر به ان بروقا  
الى ان يقول —

ليت شعري هل مبصر انا يوماً تعلم ابن الحسين فيها خفوقا  
تلك أميتي فلا عيش الا ان أراها تهزّ غصناً وريقا  
ومن موقدي الشعور الوطني يومئذ الشيخ مهدي البصير شاعر الحلقة وهو من الذين اعتلوا  
وقوا . ومن شعره الثوري المحرّك قوله في قصيدته « ليك ايها الوطن » . ومطلقها (٣) —

ان ضاق يا وطني عليّ فضاكا فلتسح بي للامام خطاكا  
ومنا بك همت اربالموت دونك في الوغي روعي فذاك متى اكون فداكا ؟  
نق أني سأنب دونك باذلاً روعي لارخصها فما اخلاكا  
فليحط العربيّ أني ناهض أقصى رجائي ان أمال رضاكا  
كذبتك أقطاب السياسة عهدا فلتضفن لك الحياة طباكا

(١) راجعاً في ديوانه ٢٣٦ (٢) الادب العمري (بطي) ١ — ١٦٦ (٣) — الادب العمري ٢ — ٩٦

أفيلبون لك الرعاية ضالة ماكان أقصرهم وما احببكا  
لو أنصفوك لحرررك لاسهم رجسوا قضيتهم بظلم لواكا  
وشل هذه الصراطف تنجل في شعر عبد الحدين الازري ، ومحمد أبي الحاسن ، وعلي الشرفي ،  
ومحمد الهاشمي ، وسواهم . اما الزهاوي والرصافي فلم ير لها شبة من ذلك في ما نشر من شعرها

\*\*\*

اشعلت الثورة فوقع من ضحاياها مئات من الطرفين . ولم تر بريطانيا بدءاً من مصالحة  
الثوار . فأصدرت منشوراً بالفضو العام . ثم « شكلت » للاراق حكومة وطنية موقفة الى ان يتم  
اعتقاد مؤتمر عربي عام يبين مصير البلاد وشكل حكومتها  
وكان فيصل في اثناء ذلك قد انهار عرشه في دمشق ، فقرر بإتفاق الطرفين انتخابه ملكاً  
على المراق وصرف النظر عن عقد المؤتمر العام على ان الشعب أستقبلي في امر انتخابه فقال ٩٦  
بنسبة من الأصوات وهكذا بودي به ملكاً واحتفل بتتويجه في ٢٣ آب ( أغسطس ) ١٩٢١  
وكان لهذا الحادث التاريخي اثر يذكر في الادب العربي فقد اتى فيه من الخطب والنصائح  
ما لا يتسع المقام لذكره . واليك نموذجاً منه تصبده اشدها الزهاوي في حضرة الملك فيصل  
على اثر قدومه عاصمة الرشيد<sup>(١)</sup> وفيها يقول :—

لانا بحبوك قاعلم ايها الملك	ومصطفوك لعرش شاده الملك
عرش العراق ضان لعراق وفي	تأييده الشعب والأحزاب تشرك
الناس من فرح إذ جئت رأسهم	من بعد ما قد بكوا من بأصهم ضحكوا
قد ارتضاك له فاعناً بديوك	الله والناس والتوفيق والملك
هذا السلام بسم الزائدين غداً	فلا دم بعد هذا اليوم ينسك
جري ليحق ناس بان فاطمة	حتى اذا تبوا في جريمهم برصوا
من هاشم من قريش من ذواتها	حيث الوشائج والأرحام تشبك
الله يا فيصل ما أنت مورثه	للشرب من شرف في شكره اشركوا
في نهضة رجال كنت رأسهم	حيناً لتحرر اوطان بها السبكوا
عش للرقى قالت الشعب اجمة	مذ هب يفتح عينه به شدك

\*\*\*

ولا ينكر انه بتتصبب فيصل استقرت الحال نوعاً في العراق على ان الاماني القوية لم تنصل

وثمة واحدة الى غايتها . فكان موقف المرش حرجاً بين السلطة المنتدبة وانغومية العراقية الثورية لكن نبصلاً كان ردياً ما هراً فسير المركب بين اللجج برقى وحكمة ، واستطاع تيل موته ان يوقع معاهدة الاستقلال اتمام وان يدخل العراق في عصبة الامم ولم يخل الشعر العراقي في اثناء ذلك من روح التبرم فبرغم الهمينة السياسية في العراق وبرغم ما كان يضيء في العهد الفيصلي من انزار الامل والاستيثار ظل فريق من كبار اديابته يطلب عليهم التناؤم فينشونه شعراً قائم اللون ناقماً سوء الحال . وزعيم هذا الفريق الرصافي كما ترى في قصيدته للربحاني سنة ١٩٢٢ اذ يقول (١) —

أأمين جئت الى العراق لكي ترى	ما فيه من غرر التلى وحجوله
عنواً فذاك النجم أصبح أفلا	والقوم محتربون بعد افوله
ومنها : واذا وقفت بدارس من مجده	فكوفئة الباكين بين طلوله
وانحب كما نحب الطرن مكفكفاً	غرب الدسوع بجاني منديله
ومنها : حال لو افكر الحكيم بكنهه	طول الزمان لعمى من تقليله
من ذا يده فان قوارعي	بثت لسر الله من تبديله

الى ان يقول : —

من ابن برجي للراق تقدم وسيل تملكه غبر سيده  
لاخير في وطن يكون السيف ضد جانه والمال عند بخيله  
والراي عند طريده واللم عند غريده والحكم عند دخيله  
ونظير هذه الروح في قصيدته في حفلة الحزب الوطني البندادي للسفكران الاميركي (سنة ١٩٢٩) اذ يقول (٢)

واذا نال عما هو في بنداد كامن  
فهو حكم شرقي الضرع غربي الملاين  
وطني الاسم لكن انكليزي الشاشن  
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكن...  
نحن في الباطن لا نملك تحريكاً لناكن

ومثل ذلك قصيدته « الحربة في سياحة المستعمرين » (ديوانه ٤٢٦) وعادة الانتداب (٤٢٧) وكيف نحن في العراق (٤٣٥) وحكومة الانتداب (٤٣٧)

(١) ديوانه ٤٠٣ (٢) ديوانه ٤١٤

هذا الشعر نثرهم انهم كان شامخاً في الاوساط القومية المتشددة ويقابله شعر وطني مستبشر كان ينظر الى الامور بين الرجاء مؤمناً بالهزيمة الجديده وانقاعاً بتقدمها . ومن اشغله ما قيل في التسلّم العراقي . واثمينة العربية ، وآمال الشباب والملك العربي والسيادة القومية وما الى ذلك كقول الجوامري من قصيدة في سفر الملك فيصل الى جنيف ( ١٩٣١ ) عمداً لدخول العراق عصابة الامم <sup>(١)</sup> يفتحها بوصف مناقب فيصل وحسن سياسته وجليل خدمته للعراق ثم يقول

لا ادعي ان تد انتم عموه      من كان امن بشكل طفل حاب  
فانك لدمت بالبعيد مثالها      عن كل شعب طامح وثاب  
لكن اقول اريته مستقبلاً      لا بالديم سنأ ولا الخلاب  
كالشهد اول ما توقفت فم      ما زال بين هذه طعم الصاب  
فاليوم هاهنا بظلك يحتمي      مثل احياء العين بالاهداب

ومثل هذا القول بل واكثر منه انتشاراً واهتماماً بالمستقبل يتجلى لك في كثير من الشعر الذي نظم في عهد فيصل وعهد خلفه الملك غازي الأول

( الثورة السورية ) ذكرنا ان دمشق كانت بعد الحرب الكبرى اول عاصمة خارج الحجاز نودي فيها بالاستقلال العربي . وهاك اول برقية وردت الى بيروت بعد دخول العرب دمشق ( وقد نشرت في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ بتوقيع الامير سعيد الجزائري ) — « بناء على تعليمات اتركه فقد تأسست الحكومة الهاشمية على دعائم الشرف طمنوا الصوم واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية »

ومعلوم ان سوريا بعد الحرب عهد بادارتها المنقولة الى الامير فيصل . ثم حدثت حوادث وجرت مفاوضات سياسية لا مجال لذكرها الآن . وفي خلال ذلك تم لحكومة دمشق تنظيم المؤتمر السوري بممثلي جميع الاقطار السورية ومنها فلسطين فأعلن في ٧ اذار ( مارس ) سنة ١٩٢٠ المفاداة بالامير فيصل ملكاً دستورياً على البلاد السورية <sup>(٢)</sup>

عنى ان ذلك الاستقلال لم يطل عهده . ففي ٢٥ تموز ( يوليو ) من السنة نفسها دخل الجيش الفرنسي دمشق فاضطر فيصل الى ترك عرشه وأصبحت سوريا داخلة في منطقة الانتداب . وبذلك أخذت تلك التائرة الملكية التي كان السوريون قد بدأوا ينضبون بها . فيعد ان كان الشعر العربي في حاتم شعر القومية السائدة والوطنية الجذلة والراية العربية الحفاقة اصبح ذكريات مؤلة كقول حليم دموس من قصيدة في وداع فيصل مطلعها : —

اضاعوه وكان نقي هماماً وبالاطوان صبا مسهاما

(أضاعوه واي نقي أضاعوا) أضاعوا القلب واليدَ والحنا  
 قودع في الدجى تاجاً وعرشاً وملكاً وآمالاً حساماً  
 هو التاريخ ماد فعد البسُ وصف غرناطة نصف الناماً  
 سلاماً يا أبا النازي سلاماً يزرُ على المروءة ابن تضاماً  
 أطلت عصاة ضلّت فكانت يصدر جهادك الماضي كلاماً  
 ولولا ذلك كنت الملك بينا ولكن ابعدوا عنك الكراماً  
 فسادت في رُحاب القصر نوضى فلا رأياً هناك ولا نظاماً

\*\*\*

وكقول النلايين من قصيدة نظمها في دمشق (١٩٢٠ك) ومطامها — وقفت على الاطلال  
 اطلال قحطان<sup>(١)</sup> —

لئن كنتم من قبل في يد غاصب ضيف القوى من خرفة الجبل نشوان<sup>(٢)</sup>  
 فانكم ذا اليوم نهبٌ بمقتم بأيدٍ شدارٍ شرهاً نكم دان  
 وقدنم وسيف القوم برهف حده وما غمده ألا طلى آل عدنان  
 وله كثير مثل ذلك

وكذلك لخير الدين الزركلي كقوله من قصيدة سنة ١٩٢٢ وهو في عمان<sup>(٣)</sup>

أبكي دياراً خلقت للرجال  
 أبهى مثال  
 أبكي زات المرز والمرز غال  
 صب المنال  
 أبكي قوماً قعدت بالرجال  
 عن التضال  
 أبكي جلال الملك كيف استحال  
 إلى خيال

وله قصيدة سماها الفاجحة<sup>(٤)</sup> نظمها على اروة مبدلون ودخول الجيش الفرنسي الشام  
 ومطامها —

الله للحدثان كيف يكيد بردي يبيض وقاسيون يمدُّ

(١) ديوانه ص ٢١ (٢) يقصد الاتراك (٣) راجعها في ديوانه ٢٤ (٤) ديوانه ٤٢

ومنها ما في دمشق لناهض من عزّة وبها سرادق غاصب حدود  
بلد نبوّاهُ الشقاء فكلاً فقدم استقاماً له به تجديد  
وبعد ان يصف الجيش وأنخذال السوريين لتأخر زعمائهم يقول -

خدعوك يا أمّ الحضارة فدرمت تجني عليك فبالق وجنود  
من ذا يكفكف أدمماً مهراة كالتيت تظل حسرة ومجود  
تسقى بها في الفوطتين مباهم ذهب التواح بملأها، وخذود

ولو راجعنا ما نظمه كبار شعراء سوريا بعد سقوط العرش الفيصلي ، تكليل مردم وقارس  
الخورى وشفيق جبري ، ومحمد البرم وفؤاد الخطيب ومحمد الثرغزي وبدر الدين حامد وأضراهم  
وما نظمه زملائهم في سائر الأقطار العربية والمهاجر لوجدنا عليه سحنة من الألم تشف عن  
أسفهم على ما ضاع من آماني وتبدد من احلام



في خلال ذلك كانت العراق ( كما مرّ معنا ) تنفذ بالثورة ومصر تجاهد تحت لواء معد. وقد  
رأى السوريون تأييد الثورة العراقية والجهاد المصري ، فكان ذلك دافعاً لهم الى تنظيم الكلمة  
ومناوأة الاتداب

ولم تلبث هذه المناوأة ان انجلت عن ثورة ١٩٢٥

ولسنا نبحث الآن عن الاسباب البعيدة او المتباشرة لهذه الثورة فذلك عمل مؤرخيا ، على  
أنا نقرر هنا انها كانت خطوة كبرى في سبيل الهدف المنشود فقد انتهت بتنظيم الكتلة الوطنية.  
ثم باعلان الجمهورية ( سنة ١٩٣٢ ) وبالاتفاق مبدئياً على معاهدة شبيهة بمعاهدة العراق  
وقد نظم في الثورة السورية والحركة الوطنية شعر كثير اشتركت فيه جميع الاقطار العربية.  
فن مصر مثلاً شوقي وحافظ ، ومن العراق الرصافي والحيواهري ، ومن المهاجر السورية اللبنانية  
الشاعر القروي ، والياس فرحات ، والدكتور جورج صوايا ، والياس قنصل ، وأبو الفضل الوليد  
ومن لبنان وفلسطين مصطفى النابلسي وعلي الحوماني وابراهيم طوقان وفي الجبل وسواهم  
فاذا أضفت هذه الاسماء الى أسماء شعراء سوريا الذين مرّ ذكرهم والى أسماء كثيرين في أنحاء  
البلاد العربية من لم يذكرنا استقامت ان تقدر ما كان لهذه الثورة من الاثر في الشعر العربي  
وانما نصير هنا اشارة خاصة الى دواوين النابلسي ، والحوماني ، والشاعر القروي ، والياس  
قنصل وبدر الدين حامد لما يتأجج فيها من نيران تلك الثورة وما تحمله الى الاقطار العربية  
من حرارتها المتقدة

(الجامعة العربية والروح الاقليمية) رأينا من الفصول السابقة ان الدعوة العربية لم تكن قبل الدستور الثماني منظمة او ذات هدف معين بل كانت عاطفة قومية تظهر من حين الى آخر في الادب العربي بمظهر التذكير بالماضي والاهابة ببناء الشرق العربي الى التقدم في سبيل النبل. فلما دخل العرب العهد الدستوري ووضحوا يرون مجلاء ما لهم وما عليهم اخذتهم الفيرة القومية فبدأوا يلهجون بها، وشمروا ان العنصر السائد في السلطة يقاومها فزادوا تمسكاً بها، ولم يلبثوا ان نظموا الجمعيات والهيئات السياسية، فانتشرت بينهم دعوة قومية ترمي الى استقلال الاقطار العربية استقلالاً ادارياً

وفي الحرب الكبرى اعلنت الثورة الحجازية باسم العرب والملك العربي ولما وضعت الحرب اوزارها انتشرت الدعوة للجامعة العربية تحت لواء الهاشميين انتشارا في المهشم، وكانت ترمي الى احياء مجد العرب بتظيم دولة كالدولة الاموية في الشام تضم الاقطار السورية والعراقية والحجازية ثم تدرج الى سواها

حلم جميل استمذبه السواد الاعظم من سكان تلك الاقطار، وقد كان مصدر الهام لكثير من الشعر القومي والخطب الحماسية. ولن ننسى يوم نُشر السلم العربي في بيروت وقد استولى فيه على الناس شعور غريب لا عهد لهم به من قبل شعور الكرامة القومية الحرة. وكان الاحتفال في دار الحكومة. وهالك بمض ما قاله الخطيب «الرسمي» عياطاً الشعب العربي<sup>(١)</sup> —

« ان هذه الزاوية التي تفتخر اليوم هي شعار استقلالك وستكون خائفة فوق رأسك ما خفق فؤادك لها، فان بقاءها هو اليوم في يدك. فان احببت لها البقاء فاستمت في حبها واعمل على اعلانها بين الامم. ان البلاد العربية اليوم هي بمثابة كتلة وطنية واحدة خاضعة لحكم شريف مكة واميرها وذلك البلاد العربية جلالة مولانا المفدى حسين الاول. واتنا لا ننسى ابدأ لحلفائنا ونخص منهم دولة انكثرتا العظمى المساعدة العظيمة التي قاموا بها نحونا لحصولنا على هذه النعمة الكبرى »

وقد اقيمت المهرجانات لرفعه في الشام وسائر المدن السورية. ولم يشكك احد بوقوعه في ان الملك العربي اصبح امراً واقماً وان انتصار الحلفاء على الأتراك كان الحجر الاساسي في توطيده ودارت الايام فاذا بالانتداب يفرض على البلدان العربية. واذا بالحكومات العربية الاقليمية تحمل محل الدولة المتحدة، واذا في الادب العربي فكرتان تصارعتان فكرة الوحدة وفكرة الاقليم، الجامعة العربية والروح الاقليمية: —

اما الاولى فكانت ولا تزال رسالة الشعر العربي منذ عهد الدستور (١٩٠٨). وقد رأينا

كيف برزت بعد الثورة ، وعبأ حارل دعاء التسميم امانها . فهي عند السواد الاعظم من عرب الشرق الادنى رسالة المجد والتاريخ . وقد ساعد على احيائها في الادب بضع حوادث هامة — منها المشكلة الفلسطينية ، وموت الحسين . وموت فيصل ، وتقدم الروح القومية في العراق وسوريا ، وأنجاه مصر نحو الاخاء العربي

\*\*\*

فالرب عموماً يمدون مسألة فلسطين مسألة عربية عامة ولنا ترى الشعر العربي في كل قطر يعطف عليها كقول مهدي الجواهري (النجف) من قصيدة موضوعها فلسطين الدامية (١) —

يا فلسطين ان امدك زاهرة فلست أول حق غيلة هُضما  
سود من الوحدة الصماء واعهم فاستحدثوا ثمرة جوفاء فالتما  
تار الشباب ومن مثل الشباب اذا ربيع الحلى وشواطئ الصبرة احتدما  
ياي دم عربي في عروقهم ان يصبح العربي الحر مهتضما  
وقول بشارة الخوري (بيروت) من قصيدة موضوعها جهاد الجيابة (٢) —

يا جهاداً صفق المجد له ليس الفار على الاججوانا  
شرف باهت فلسطين به وبناء للعالي لايداني  
إن جرحاً سال من جبهتها لثمة مخشوع شفتانا

والشاعر الفروي (البرازيل) في اناضيره من قصيدة موضوعها « وعد بلفور » —

الحق مك ومن وعودك أكبر فاحسب حساب الحق يا متعجب  
تعد الوعود وتقتضي انجازها موج العباد خئت يا مستعمر  
لو كنت من أهل المكارم لم تكن من حيب غيرك محسناً يا بلفر  
عد من تشاء بما تشاء قائماً دعواك خاسرة ووعدك اخسر  
فلقد قوز ونحن اضف امة وتؤوب مطلوباً وأنت الإقدر

ولعل شعر ابراهيم طوقان ( نابلس ) اصدق مرآة لحال فلسطين السياسية والاقتصادية ولولا حرج الحال لايتباها هنا كثير من ثقاته الوطنية المستعدة من شقاء فلسطين وسوء احوالها . وهي منشورة في مختلف الصحف الجارة كالبوق وفلسطين والدفاع والمرض والجامعة الاسلامية وسواها

اما الحسين ملك الحجاز فني نقله الى قبرص ، ثم مبايعته بالخلافة في عمان ، ثم موته في تلك المدينة عبر أنارت الشعر العربي وأذكت فيه روح الرسالة القومية واتا نكتني هنا بالإشارة

(١) ديوانه (١٩٣٥) ١٧٦ (٢) ملحق جريدة المرص عدد ١١٠٥

الى بعض القوائد التي قبلت فيه وهي قل من كثرة ، بل وشل من بحر  
فلسوقى مرثاة : —

لك في الارض والسما مآثم قلم فيها ابو الملائك طاسم  
ولفؤاد الحطيب : —

هي المواكب فاشهد كيف تندر كالبل مصطعب الثبار ينحدر  
اوقت تودع جثمان الذي نعت الى الجزيرة في اكفانه مضر  
واشفيق جبري : —

تلکم فریسن وما جفت عوالبها على الحطم ولم تنشف مواضيا  
من ذاكر في ظلال البيت ثورها والهد غير بيد عن لالبها  
ولا ابراهيم طوقان — ذكرى ثورة الحسين : —

اطلقتي ذاك اليارا قدك ضياء واصطبارا  
يطلب المز ابدارا يدرك المجد اقتارا  
ولبدر الدين حامد — في خلواته

تاج مجد الخلافة اتظها فوق رأس الخليفة العربي  
كم لبنا السنين في وجل وذرفنا مدامع الحرب  
وله في منفا الى قبرص : —

اسرفت فيما جنته بازمان فا لهد منك يوماً امان  
وللعوامري في ذلك : —

هي الحياة باحلام وامراز تمضي شاعراً كزبد القادح الواري  
وله مرحباً بالحسين الى العراق : —

أرى الشعب في اشواقه كالملق لا حدثوماً عنك يرجو ويتق  
وشبهه بما قبل في الحسين ما قبل في ابنه الملك علي فقد نظمت فيه مرثاة وطنية تشف عن  
شعور العرب في مختلف الامصار نذكر منها هنا نصيدة شبلي ملاط : —

أمن جرح على جرح دمي الام يماب بيت الهاشمي  
فا كاد الحسين يشيب حتى هاتت شهب فيصل والعلي

وأما فيصل فان مرثه كان عند ادياه العرب الفعجة الكبرى وقد اقيمت له مآثم في مختلف  
الاقطار العربية وفي المهاجر . ولو جمع ما نظم في أعماله وفي تعداد مناقبه لملائت مجداً ضخماً فهو  
عند الجميع بطل الروبة وحامل لوائها . واليك على سبيل التيسيل بعض ما وصفتنا من المرثاة فيه : —

لميل الزهاوي - شيخ المشرفين خطب جليل  
 لاين الربحاني - حاق النسر في انفضاء بيدا -  
 لبشاره الخوري - ليست ببدك السواد العواصم  
 لمحمد اليزم - وم عظماً اذا اردت خلوداً  
 للدكتور أبي شادي - هكذا كنا شوب نيتهم  
 لثلي محمود طه - تألق كالبرقة الحافظة  
 للشاعر القروي - أخص النجد ان العقل منهزم  
 لوديع البستاني - قرء - وبات الفجر - والفتلان  
 لحليم دموح - هوى من سما عليائه بعد ان سما  
 لابراهيم طوقان - شبي اثيل وقوي استغلي  
 لصلاح البلاميدي -

قالوت من جند انليك الاعظم  
 لطفي على الاسلام والعباء  
 اسكتة بد الزمان العادي

كفكف دموعك وأعد شجر الماتم

لصلاح الرفاعي - علم العروبة غار في الصياء

لعبد المسيح محفوظ - عبقري الملوك أي فؤاد

هذا فضلاً عن كثير من الاناشيد الشجية وكنال لها ثبتت بعض فقرات من نشيد الكشاف

المسلم في صيدا - دافقت بالصدق عن حرمة الحق

والناس قد كانت في النرب والشرق

تراك يا فيصل

تراك يا فيصل

الياس قد أبلى في الناس واستولى

في رجة الوادي عروبة نكلى

فهدبك يا فيصل

فهدبك يا فيصل

\*\*\*

(الاقليمية والقومية العربية) يظهر ان اشتداد الاقليمية مقرون باشتداد السلطة الابتدائية  
 ففي العراق وفي سوريا ولبنان وفلسطين نشأت هذه الفكرة كادأينا بعد استقرار الاتداب،  
 وهي ترمي الى فصل الاقطار العربية بعضها عن بعض روحياً ومادياً وتطويق كل منها بمواجز  
 اقتصادية وسياسية تجعل اتصالها بناظر الاقطار العربية أمراً متحذراً أو شاقاً.

والوصول الى هذه الغاية اخذوا يبشرون لنظام الترية الوطنية والادارة الملكية والمكرمة على اساس الوحدة الاقليمية لا على اساس الجامعة القومية العربية . فالسورية مثلاً والبنانية واللسطينية والعراقية والمصرية والحجازية والنجية وحدات مستقلة لا ترتبط بعضهم ببعض الا كما ترتبط الصين بالهند او ايران وتركيا ، اللهم الا ما كان منها تحت انتداب واحد او ما كان منها مرتبطاً بمهادنة خاصة فقد نظهر النزعة الاقليمية فيه في اخف الوانها

على ان ما نالته مصر والعراق من السيادة الملكية ، وما عيلاً صدور السوريين من آمال بالاستقلال قد انشأ من كل من هذه الاقطار شخصية مستقلة . شخصية تستطيع ان تفكر بما لها وما عليها بمحاضرها ومستقبلها ولذلك تراها تقرب من فكرة التضامن القومي

وقد رأينا ان الادب المصري الصميم كان من قبل قوياً من فكرة الجامعة العربية . ولكنه اخذ الآن يجاري الادب العراقي والسوري . بل اخذ ساسة مصر اليوم يفتخرون بين المطف الى ما كانت اسلافهم قبل عشرين سنة يرمقونه شزراً . وما نحن زى شيوخ الامة المصرية ونوابها يتحركون لنصرة فلسطين ويدعون الى عقد مؤتمر برلمان عربي (يمثل جميع الاقطار العربية) للبحث في هذه المسألة (١)

ولا ينكر ان السياسة لا تزال في جانب الاقليمية وربما ظلت كذلك أحقاباً طويلة . اما شعور الامم العربية فانه يتجه ببطء وبثبات نحو الناحية العارضة . وقد كان الشعر العربي ولا يزال افضل وسيلة لايمان هذا الشعور وتقويته . الشعر العربي اليوم سواء كان في مصر او العراق او الاقطار السورية أميل الى مصارعة الاقليمية فلا غرابة ان ترى لبنانياً في حفلة اقيمت له ببغداد (١٩٢٤) يقول من قصيدة مطلعها (٢)

غريب قد طوى الفلوات سبياً الى هذي الربوع السندية

سلاماً نهر بغداد قاني احيى في حماك الاربعه  
احيى فيك عن قومي اخاء سوريا شقيقتك الوقه  
إخاء بين اهل الضاد يحيى اماناً في قوسهم القبه  
ألا ان الزمان لقد دعاهم بما نهوى النفوس الاشبيه  
وفرقي شملهم حتى كأن السخاذل بينهم امسى مزه

(١) راجع تفصيل ذلك في صوت الاحرار ٢ تموز ١٩٣٨ (وما بعده)

(٢) للكاتب راجعها في مجلة الطلبة (بيروت) حزيران ١٩٢٤

وهل هم غير اخوان فيحفظوا  
 لنا بلسانا ووطن ككريم  
 وان نرى شاعراً مصرياً كبيراً كاحمد محرم  
 ينادي الامة العربية بقوله من قصيدة مداتها<sup>(١)</sup>  
 حي المأزول واسأل امة الرب  
 بني العروبة هذا صوت شاعركم  
 يطوي البلاد اليكم لا يفاله  
 انا الذي ان شكركم وقع نائبة  
 اعزز علي بما تلقون من عنتم  
 ما بال سبك لم يظفر ولم يصب  
 يرمي يد عربي الدار والنسب  
 مخنان مرتجل او شوق منتزب  
 نظرت حولي هل تهوي البسيطة بي  
 وما تذوقون من همٍّ ومن نصب

ولا يمنع ذلك تمزق اللبناني بلبنان والمصري بمصر والعراقي بالعراق ولكن يمنع هذا التناذر الاقليمي الذي ليس فيه الا الضرر الجسيم على الشرق العربي . والذي يلوح لنا من تحليل المواطن العربية في مختلف اليبات العربية ان العراق وسوريا وفلسطين في مقدمة الداعين الى تمزيق القومية العربية السامة . أما في لبنان ومصر فلا يزال الصراع الروحي قائماً بين الفكرتين وقد بدأت الاقليمية تتراجع قليلاً الى الوراء . وأما هذا التراجع لما طرأ على فكرة الوحدة العربية من تطور في هذه الحقبة الاخيرة

فستظم الداعين الى الوحدة الآن لا يؤمنون بما كان يؤمن به الدعاة الاول من توحيد الاقطار العربية في مملكة واحدة . ذلك أمر يروونه بعيد المنال . وأما هم يدعون الى تعاون عام الى تحالف اخوي يشد أزر كل اقليم ولا يمس استقلاله التام . فصر في رسالة الشعر العربي الحديث سبق مصر وكذلك العراق وسوريا وسواها . وسنصير كل منها في طريق الحياة مستقلة عن الاخرى ولكنها تستمد الى جارتها يد الاخاء فتقدم من بين هذه الاقطار الحواجز الاقتصادية والسياسية بحيث يشمر كل عربي ألسان أن كل بلاد عربية هي بلاده وأنه اذا اصاب أي قطار عربي حيف فلي سائر الاقطار ان سبب لمساعدته

ان افراد الاسرة الواحدة قد يستقلون بعضهم عن بعض استقلالاً ادارياً واقتصادياً ولكن بينهم رابطة لا تزول هي رابطة الاسرة التي يجعل منهم اخوة مهما تكن اختلافاتهم في الحياة حتى اذا ألت بهم لمعة كانوا بدأً واحدة فلا يتسنى للريب ان يستعبدهم او يستذلهم تلك هي رسالة الشعر اليوم فهل يحققها الزمان أو يمزقها ثم يحمل الى الاقطار رسالة ينير هذا العنوان ؟